مستقبل العربية كلغة عالمية رهن بمستقبل العرب

للدكتور: عبد السلام العجيلي

(دمشق)

1 — ان تحديد انتشار اللغة العربية فى العالم ليس ناجما عن مشاكل متعلقة باللغة نفسها ، بل عن اسباب متعلقة بالامة العربية ومنزلتها بين امم العالم ومستواها الحضاري فى العالم المعاصر . ليس ادل على هذا من ان اللغة العربية انتشرت بسرعة فائقة بعد ظهور الاسلام ونهضة العرب الحضارية التي تلت خروجهم من جزيرتهم . لم تقف امام انتشار اللغة حينئذ اية مشكلة من المشاكل التي تثار الآن كتعقيد النحو والصرف وعسر الكتابة وصعوبة مخارج الحروف .

فتخلف العرب الحضاري هو المسؤول عن الحد من انتشار اللغة العربية بين الامم التي ليست هذه اللغة لغتها . وحين لا يكون عند العرب ما يغري الشعوب الاخرى بالتماسه من منابعه ، من معطيات ثقافية وفنية اصيلة ، وحين لا يغزو العرب امم العالم لا بقوتهم ولا بعملهم ، تبقى لغة العرب لغة ثانوية لا يتكلف احد جهدا فى تعلمها غير ذوي الفضول ومحبي الغرائب ، مهما كانت اللغة من اليسر أو قرب التناول .

2 — مما اسلفت يتبين ان ليست هناك مشكلة رئيسية ليكون حل لها . ومستقبل اللغة العربية كلغة عالمية رهن بمستقبل اهلها الناطقين بها .

ولا شك أن هناك مشاكل هامشية نستطيع ان نسميها صعوبات لا تخلو من مثلها اية لغة سواء كانت واسعة الانتشار او قليلته . ومعالجة هذه الصعوبات تيسر تناول اللغة وتعلمها ، ولكنها لا تعطيها القدرة على فرض نفسها كلغة عالمية .

3 — فى رايي ان كل لغة يتكلم بها الناس ويكتبونها تصلح للتدريس الجامعي . واللغة العربية أصلح من كثير غيرها من اللغات لكثرة مفرداتها ولدقة الفروق بين معاني المفردات المتقاربة منها ، ولمرونة التركيب فيها ، ولماضيها الحضاري . ولانها كذلك لغة جماعة كبيرة من الناس لهم تراثهم الجليل فى التاريخ وللاوطان التي يسكنونها قيمة فى حاضر العالم ومنزلة كبيرة منتظرة فى مستقبله .

4 — العلم العصري سواء كان تدريسا فى الجامعة او بحثا علميا هو علم غربي البيئة والاصول اجنبي على اللغة العربية ، قد تلقاه الاساتذة والبحاث باللغات الاجنبية فى الغالبية العظمى من الحالات .

والمشاكل التي تعترض الاساتذة الجامعيين فى تعليم العلم والبحث فى اللغة العربية مشاكل على نوعين : النوع الاول مشاكل نفسية مصدرها الفة الاساتذة للغة الاجنبية فى تفكيرهم العلمي واقتران المعطيات العلمية فى اذهانهم بالتعبير الاجنبي الذي درسوه فيه ، أيا كانت اللغة الاجنبية تلك افرنسية او انكليزية او المانية او روسية . هذا الاقتران وتلك الالفة يؤسسان فى نفس الاستاذ الجامعي اقتناعا بعجز اللغة العربية التي تلقى ثقافته العلمية بغيرها ، عن أن تكون وعاء متسعا للمعارف التكنيكية او البحث العلمي .

وهذه المشاكل النفسية تحتاج فى حلها الى ايمان الاساتذة الجامعيين والبحاث بامتهم وبلغتها وبمستقبلها وطبيعي ان الايمان بالامة لا يحدث فى يوم وليلة ، فهو نتيجة للتربية الوطنية الصحيحة . وكذلك الحال فى الايمان باللغة فهو لا يكون بأمر أو قرار رسمي ، بل لابد للاستاذ الجامعي من أن يكون قوي

الاطلاع على لغته الام متذوقا قيمتها التاريخية المتمثلة فى تراثها المتوارث طوال اربعة عشر قرنا . اما الايمان بمستقبل الامة فهو نتيجة ملازمة لمعايشة الاستاذ الجامعي لواقع الشعب الذي هو احد افراده بالاطلاع على مشاكله وحاجاته والتعرف على امكانياته الكامنة وطاقاته المحدودة . فالاستاذ الجامعي فى العالم العربي المعاصر يجب أن لا يكون فى عزلة . انه ؛ لكي يقوم بما عليه أن يقوم به؛ يجب ان يكون رائدا وطليعة فى بناء الاجيال الجديدة التي تفتقدها امته بين الامم ، اعني بها الاجيال العلمية .

النوع الثاني من المشاكل التي تعترض الاساتذة الجامعيين فى هذا المجال مشاكل واقعية مصدرها اللغة العربية نفسها . فنحن نعرف ونعترف بأن لغتنا لم تصبح بعد لغة علمية متكاملة وان قصور اللغة العربية فى هذا المجال يعود الى اسباب تاريخية وانسانية خارجة عن ارادتنا نحن ، وعلينا نحن بارادتنا وتصميمنا ان نمحو هذا القصور ونعطيها الصفة التي تنقصها لتصبح مثل غيرها لغة صالحة لتدريس العلوم والبحث فيها . وهذا امر لا يمكن ان يحدث فى يوم وليلة ؛ او ان يقوم به فرد او افراد قلائل . على كل مدرس وباحث ان يأتي بما يقدر عليه فى مجاله ، مستعينا بجهود زملائه ، مساهما بقسطه من الجهد والابتكار ، حتى يتأتى للغة العربية أن تصبح اداة وافية فى ميدان العلم مثلها هي فى ميادين الفكر والادب ومثل كل لغة عالمية يثق اهلها بذاتهم ويحترمون انفسهم .

5 — المصطلح العلمي قد يكون اسما او فعلا. وهو فى هذه الحالة كلمة مكونة من جذر بسيط او عدة جذور مركبة ترجع فى اصولها الى اللاتينية او الاغريقية فى غالب الاحيان . ويلحق بهذا الجذر أو تلك الجذور اضافات وحيدة او متعددة مما يخلق منها كلمات جديدة تخضع فى تكوينها الى اصول الصرف والاشتقاق فى اللغات العربية . وقد يكون المصطلح العلمي صيغة رياضية او كيميائية معبرا عنها بالارقام والحروف اللاتينية واليونانية ، او كلمات مخترعة مختصرة لجملة مصطلحات علمية ممثلة باوائل حروف جذور تلك المصطلحات .

وطبيعي ان لا يكون هنا اندماج هذا المصطلح العلمي باللغة العربية الفصيحة ذات الاصول الثابتة فى التكوين والاشتقاق ، ذات الاوزان المحدودة لصيغ الاسماء والافعال ؛ وذات مخارج الحروف المعروفة والمحددة . غير ان العقبات التي تحول دون هذا الاندماج ليست عقبات لا تذلل ، كما ان اللغة العربية ليست الوحيدة التي اعترضتها هذه العقبات فذللتها .

اولى العقبات وابسطها معالجة هو عدم احتواء الكتابة العربية حروفا معينة ؛ وبصورة خاصة بعض الحروف الصوتية ؛ موجودة فى اللغات الغربية مثل حرف V و P و G . وقد عولجت هذه العقبة معالجة معقولة باجراء تعديلات فى التنقيط على الحروف العربية المقاربة فى مخرج اللفظ للحروف المفتقدة . ولكن هذه المعالجة لم تدخل فى دور التعميم الشامل ، وهذا قصور يمكن تلافيه ويجب تلافيه .

وثمة عقبة اخرى هي التي تتعلق بتعريب المصطلح الاجنبي . وقد لعب التحرج والتصلب دورهما فى تضخيم هذه اللغة حين اصر بعض المعنيين باللغة العلمية على تعريب كل مصطلح ورفض ما لم يتوافق وزنه وتركيبه مع اوزان الصيغ فى اللغة العربية وتركيب الكلمات فيها . ولاشك بأن التنقيب عن كلمات عربية مهملة ومنسية كان العرب القدماء قد استعملوها فى ما يقابل مسمياتها العلمية اليوم ؛ كبعض مصطلحات التشريح والفلك وعلم النبات ؛ عمل جليل يغني لغتنا العلمية بمفردات كثيرة نحن فى حاجة اليها . الا ان الطوفان المستمر من المصطلحات العلمية الجديدة يجعل الاصرار على اكتشاف كلمة قديمة لكل مصطلح جديد ؛ او تعريب هذا المصطلح الجديد بكلمة عربية فصيحة ؛ ثم فرض هذه الكلمة على الاوساط العلمية العربية المتباعدة والمنقطع بعضها عن بعض ؛ امرا مستحيلا ويضطر العلميين العرب الى قبول المصطلح الاجنبي بأقل ما يمكن من التعديل فى لفظه . لقد ترجمت بعض المدارس مثلا كلمة هرمون بكلمة « حاثة » ، وفيتامين بكلمة « حيامين » ؛ الا ان الايام واقلام الكتاب اثبتت المصطلحين العلميين كما وردا فى شكلها الاجنبي ، ولم يحل ذلك دون اندماجهما باللغة العربية العلمية او ان يصبحا كلمتين شائعتين على السنة العامة من الناس .

ويبدو ان الاشتقاق فى المصطلح العلمي وتطويعه لاصول الاشتقاق فى اللغة العربية هو اشد العقبات بروزا . فاللغات العربية تقبل كلمات مؤلفة من عدد من الحروف يفوق العشرة او العشرين ، مركبة من

جذور متعددة ، مضافا اليها زوائد كثيرة . اما اللغة العربية فان تحملها للكلمات الكثيرة الحروف عسير ، ولذا يلجأ المعربون الى الكلمات المتعددة للتعبير عن المصطلح العلمي الواحد . فنقول فرط التحسس كترجمة Hypersensibilité الا أن هذا يخلق لنا متاعب يصعب التغلب عليها فى الاشتقاق الوصفي او الفعلي لمصطلحات مثل هذه . نستطيع أن نقول اكسدة لفعل Oxydation المشتق من اكسد ؛ ونصرف فعل هذا المصدر بطريقة صحيحة . ولكن المسألة تتعقد حين نريد ترجمة Recxydation و Désoxydation وتصريف الفعل المناسب لكل منهما . عدا ما هو اكثر تعقيدا من هذين مما تدخل فيه الزوائد اللاتينية واليونانية مثل Ere, ana, dis, Extra-intra ما كان منها بسيطا او مركبا . ويبدو ان الحل فى هذه الحالة وامثالها هو قبول المصطلح العلمي على حاله او بقليل من التعديل وترويض اللغة على الوان من الاشتقاق مرنة وان لم نتساهل فيها الكتب القديمة او الآذان المتسلبة .

غير ان كل هذه العقبات ؛ على جدتها ؛ لا تقف امام الارادة الصحيحة التي تقتضيها الحاجة الماسة الى فرض اللغة العربية كلغة علمية عن طريق تدريس العلوم الحديثة لابنائها بها وتوسيع مفرداتها بقبول المصطلحات العلمية الجديدة فى مفرداتها . ولا يخفى علينا ان لغات كثيرة اشد عسرا فى قواعدها وفى طريقة كتابتها من لغتنا قد طوعت للعلم (مثل اليابانية والعبرية) فلم تقف دون تفوق ابنائها فى العلوم النظرية او التطبيقية . واذا كان ثمة حائل صحيح دون ان تصبح اللغة العربية لغة علمية ثم لغة عالمية فهو ليس فى اللغة نفسها بل هو فى تصور الهمة وضعف الثقة بالنفس .

يوجه المكتب الدائم هذا النداء الى جميع رجال الاختصاص فى العلوم واللغة العرب :

فى اطار المعجم العلمي العام الذي سيصدره المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى العالم العربي بناء على منهاجه العشاري ، نرجو من سيادتكم موافاتنا فى اقرب وقت ممكن بما يعن لكم من مصطلحات تقترحونها فى مادة اختصاصكم او ملاحظات على مصطلحات غير موفقة فى نظر سيادتكم او ما عثرتم عليه اثناء بحثكم من مصطلحات عربية قديمة تعبر عن مفاهيم علمية جديدة وغير خاف عنكم ان الجامعة العربية قد بعثت بمذكرة خاصة الى جميع وزراء الخارجية العرب تطلب منهم فيها المساهمة فى اعداد هذا المعجم ماديا وادبيا .

وان المكتب قد قرر ان يكون معجمه وافيا بجميع المصطلحات المستوعبة لقابلية الحياة لذلك يرى من الضروري الاتصال بجميع الهيئات العلمية واللغوية وبكافة الافراد العلميين .